كرامةُ المُسنّينَ من منظورِ الآياتِ والرِّواياتِ[1]

◆ **حُجّة الإسلام محمد أمين صادقي ارزجاني**[2]

◆ **المترجم**: **محمد فراس الحلباوي**[3]

■ خلاصة

تكشـفُ هذه المَقالةُ عن مكانة المُسنّينَ (الآباء والأمَّهات والأجداد) في الإسلام، وأنَّ هذه الفئةَ المُباركةَ هي ذُخرٌ للأجيال القادمة، لكَونها خَزّانَ التَّجارب المادّية والمَعنويّة..

وحسـبَ الآيـات والرِّوايات، تتمتَّـعُ هذه الفئـةُ، في المجتمع الإسـلاميِّ، بمَجموعةٍ من الحقـوق الواجبة شَرعًا، وعلى المُسـتوى الإنسـانيِّ، حُقوقٍ تَضمنُ لها اسـتمرارَ الحياة في كنف الأُسرة والمُجتمع بكرامةٍ واحترامٍ وتَقدير. ومن أهمِّ هذه الحقوق: البرُّ والإحسانُ بهم، وتَلبيةُ جميع احتياجاتهم، والإحسـانُ والرأفةُ بهم، والدُّعاءُ لهم، وزيارتُهم في حال وُجودهم في دُور المُسنّينَ. كما دعَت المقالةُ إلى الاهتمام بهذه الفئة، والحرص على نقل هذه المكانة والمُعامَلة الخاصّة للأجيال القادمة.

الكلمات المفتاحية: الحقوق- كرامة المُسنّين - الوالدانِ - الإحسان - الرَّحمة - البركة.

1 - ره توشه (زاد السفر)، فصلية علمية تخصصية خاصة بالمبلّغين، العدد التاسع، ربيع 2022.

2 - كاتب وباحث في العلوم الإسلامية- الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

3 - دكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها، محاضر في جامعة دمشق، ترجمان محلف.

مُقدِّمة

إنَّ المُسِنَّ في العائلة، ومَن بلغَ مِنَ العُمُرِ عتيًّا، هو نِعمةٌ إلهيّةٌ، وجَوهرةٌ ثَمينةٌ مَكنونةٌ في صَدف الحياة، وصُندوقُ أسرارٍ لتاريخٍ مَديدٍ، استمَدَّ منه ضياءً لبَصيرته، فصَيَّرَهُ ذا رُؤيةٍ نَفّاذة، فقَلبُه لا يَحملُ سوى المَحبةِ وذكرِ اللهِ؛ ومِن هنا فإنَّ المُسنّينَ يُوفِّرونَ الأرضيّةَ اللاّزمةَ للفَيضِ الإلهيِّ، ووُجودُهم هو بركةٌ بحدِّ ذاته؛ كما قالَ رسولُ الله ﷺ: «البَركةُ معَ أكابركُم»[1]؛ فوُجودُ المُسنِّينَ بينَ النّاسِ يَزيدُ من الفَيضِ الرَّبانيِّ، ويُوسِّعُ النِّعَمَ الإلهيّةَ، إذ إنَّ المُسنّينَ قد اكتسبوا تجاربَ عُمرهم، وتَعلَّموا دُروسًا في مدرسة الحَياة. وعلى الرَّغم من أنَّهم قد أصبحوا ضُعفاءَ جَسديًّا، وفقدُوا القُدرةَ على النَّشاط والحَركة، إلا أنَّهم يَمتلكونَ تَجاربَ قَيِّمةً من النّاحية الرُّوحيّة، ويَفهمونَ الخيرَ والشرَّ، ويُحلِّلونَ الأمورَ أفضلَ. يُمكنُهم أن يَكونوا مثلَ القادة الرُّوحيّينَ، هادينَ للآخَرينَ، ويُرشدونَ الشَّبابَ والبالغينَ إلى الخَيرِ والسَّعادة؛ كما قال الإمامُ الصّادقُ: «الشَّيخُ في أهله كالنَّبيِّ في أُمّته»[2]. فوجودُ الشَّيخِ المُسنِّ في أُسرته يُشبهُ النَّبيَّ الإلهيَّ في أُمّته. ومن منظورِ الآيات والرِّوايات، يَتمتَّعُ المُسنُّونَ بالكرامة، ويَجب أن نُولي اهتمامًا أكبرَ بالعَواملِ التي تُعزِّزُ هذه الكرامةَ، حتى يَلتفتَ المجتمعُ نحو هذهِ الفِئةِ القيِّمةِ، ويُبدي مَحبّةً وعِنايةً أكبرَ بها.

معرفة حقوقِ المُسنِّينَ

إنَّ أحدَ الأضرارِ الخَطيرةِ في المجتمعِ هو عدمُ مَعرفةِ مكانةِ المُسنّينَ السّامقةِ وحُقوقِهم ومَكانتِهم؛ لأنَّ بعضَهم يَعتقدُ أنَّ المُسنّينَ يُشكِّلونَ عَقباتٍ في حياة الأُسرةِ، وثِقلاً على المُجتمع؛

١ - محمّد باقر المجلسيّ: بحار الأنوار، مج ٧٢، ص١٣٧.

٢ - محمّد بن أحمد النيسابوري: روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين، مج٢، ص٤٧٦

وقد أُنشئَت دُورُ المُسنّينَ للاعتناءِ بهم في ظلِّ الحياةِ الماديّةِ اليَومَ. لكنَّ هذا النَّوعَ من الحياةِ لا يَعني لكبارِ السِّنِّ شَيئًا سِوى الموتِ التَّدريجيِّ.

للأسف، في مجتمعنا اليومَ، تَضاءَلَت مَكانةُ كبارِ السِّنِّ مُقارَنةً بالماضي، وهذا الأمرُ جعلَهم يُواجهونَ مَشاكلَ عَديدةً. ففي المُجتمعاتِ التَّقليديّةِ، كان لكبارِ السِّنِّ مكانةٌ اجتماعيّةٌ، وكان لهم أدوارٌ رَئيسةٌ في الأسرةِ والمُجتمعِ، لكنَّ التَّحوُّلاتِ التي حدثَت في مجالاتٍ مُختلفةٍ، مثلِ انتشارِ التِّقانةِ، وتَفكُّكِ الأجيالِ، وتَغيُّرِ القيَمِ، وعدمِ مَعرفةِ النّاسِ لحُقوقِ كبارِ السِّنِّ، أدَّت جميعُها إلى تقليصِ مَكانتِهم مُقارنةً بالمُجتمعاتِ السّابقةِ. وفي المُقابلِ نَرى أنَّ كِبارَ السِّنِّ يَتمتَّعُونَ بمَكانةٍ خاصّةٍ في النُّصوصِ الدّينيّةِ. فالإسلامُ يُقِرُّ حُقوقًا خاصّةً بكبارِ السِّنِّ؛ لا يَلتفتُ إليها اليومَ الشَّبابُ والبالغونَ. قال الإمامُ الباقرُ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مَنْ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الرَّجُلِ؟ قالَ والِداهُ»[1]. كما قال الإمامُ السَّجّادُ عليه السَّلام: «وأمّا حَقُّ الكبيرِ فإنَّ حقَّهُ تَوقيرُ سِنِّه...»[2]. ونظرًا لأهمّيةِ الوالدَينِ ومَكانتِهما، فإنَّ رِضاهُما وغَضبُهما مُرتبطانِ برِضا اللهِ وغَضبِه؛ كما قال رسولُ الله ﷺ: «رِضا اللَّه في رِضا الوالِدَيْنِ، وسَخَطُهُ في سَخَطِهِما»[3]. كما قالَ أيضًا ﷺ: «نَظَرُ الوَلَدِ إلى والِدِه حُبًّا لَهُ عِبادَةٌ».[4]

بناءً على ذلكَ، فإنَّ الفَتياتِ والفِتيانَ اليومَ هُم آباءُ مُجتمعِ الغَدِ وأمّهاتُه. إذا وجَّهَ الشَّبابُ اليومَ واجبَ التَّكريمِ والاحترامِ إلى والديهِم، وحافظوا على هذهِ السُّنّةِ الإلهيّةِ في المُجتمعِ، فسوف يُكرَّمونَ غَدًا من قِبَلِ أبنائِهم، ويَستفيدونَ من هذهِ النِّعمةِ المُبارَكةِ.

أداء الواجب الشَّرعيّ

من التَّعاليمِ القُرآنيّةِ تكريمُ كبارِ السِّنِّ واحترامُهم: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مج٧٩، ص٦٥.
٢ - حسن بن علي بن شعبه الحرّاني: تحف العقول، ص٢٧٦.
٣ - حسين البروجردي: جامع أحاديث الشيعة، مج ٢٦، ص٨٨٧.
٤ - حسين بن محمد تقي النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مج١٥، ص١٧٠.

وبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا إِمّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُل لَّهُما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وقُل لَّهُما قَوْلًا كَرِيمًا واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُل رَّبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانى صَغِيرًا﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

تُشيرُ هذه الآيةُ الشَّريفةُ إلى عدّة نقاط حولَ تكريم الوالدَين. فقد ذُكِرَت النيّةُ الحَسنةُ تُجاهَ الوالدَين بجانب عبادة الله، ويُعَدُّ الإحسانُ والبرُّ بالوالدَين واجبًا شرعيًّا على الأبناء مثل عبادة الله. وتُوضِّحُ الإشارةُ إلى زمن شيخوخة الوالدَين أنَّه برغم إلزام الابن بالإحسان إلى والدَيه، في جميع الأوقات، إلا أنَّ هذا الواجبَ يُصبحُ أكثرَ أهمِّيةً في زمن شَيخوختهم. فلا يَحقُّ للابن أن يَقولَ حتى كلمةَ "أفٍّ" لوالدَيه، ويَنبغي عليه أن يتحدَّثَ إليهم بلُطفٍ واحترامٍ، وأن يَتعاملَ معَهُم بتَواضُعٍ.

لذا، فإنَّ أحدَ أسبابِ تكريم كبار السِّنِّ في الأسرة هو الواجبُ الشَّرعيُّ للإنسان. وقد كتبَ العلامّةُ الطَّباطبائيُّ في تفسير هذه الآية: "يَظهرُ أنَّ مسألةَ الإحسان إلى الوالدَين بعدَ مسألة التَّوحيد هي من أوجَبِ الواجبات؛ كما أنَّ مسألةَ العُقوق بعدَ الشِّركِ باللهِ من أكبرِ الكبائرِ؛ ولهذا السَّببِ ذُكِرَتْ هذه المَسألةُ بعدَ التَّوحيدِ وقَبلَ باقي الأحكامِ".[1]

أداء الواجب الإنسانيّ

إنَّ حفظَ كرامة الإنسان، فَضلاً عن كونه واجبًا إلهيًّا، هو واجبٌ إنسانيٌّ أيضًا؛ لأنَّ الحفاظَ على كرامة الوالدَين هو أمرٌ عقلائيٌّ وفِطريٌّ؛ كما قال الإمام زينُ العابدينَ عليه السَّلام: "اللَّهمَّ اشكُرْ لَهما تَربيتي، وأثِبْهُما على تكرمتي، واحفَظْ لَهما ما حَفظاهُ مِنِّي في صِغري، فهُما أوجَبُ حَقًّا عليَّ، وأعظَمُ مِنّةً لديَّ، مِن أنْ أُقاصَّهُما بعَدلٍ أو أُجازيَهُما على مِثلٍ"[2].

١ - محمّد حسين: الميزان في تفسير القرآن، مج١٣، ص١٣٥.
٢- الإمام زين العابدين عليه السلام: الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٤.

في هذا المقطع، تَجري الإشارةُ إلى النّقاط الأخلاقيّة والإنسانيّة في تكريم كبار السِّنِّ. فوَفقًا لمُقتضيات الحكم الأخلاقيِّ، إذا أحسنَ شخصٌ إلى إنسان في وقت الحاجة والضَّعف، يَنبغي عليه أن يَرُدَّ له إحسانَه بطريقة أفضلَ أو بمقدار ما أحسنَ إليه بالحدِّ الأدنى. وجَليٌّ كما أُشير في المقطع الآنف أنَّه لا يُحسنُ أحدٌ إلى الإنسان مثل الوالدَين؛ لذلك إذا لم يَمُدَّ شخصٌ يدَ العَون لوالدَيه المُسنَّين، وَفقًا للواجب الشَّرعيِّ، فعَليه أن يُوليهما العَطفَ والحبَّ والحَنانَ بمُوجب الحكم العَقليِّ والأخلاق الإنسانيّة، وأن يُحسنَ إليهما في سنِّ الكُهولة والشَّيخوخة، حتى يُعوِّضَ لهما مَحبَّتَهما وخَيرَهُما في زمن الطُّفولة والحاجة. وعلى الرَّغم من أنَّه لا يمُكنُ تَعويضُهما عن إحسانهما ومَحبّتهما، إلا أنَّهُ يَنبغي بذلُ الجُهد في حدود القُدرة لتَكريمهما والحِفاظ عَليهما في المَنزل وبينَ أفرادِ الأُسرة، وذلكَ بفَضلِ الله، لتَعويضِ بعضِ خَدماتهما.

رسالة الشباب

يَنبغي على الشَّباب أن يَعلموا أنَّ العُمرَ يمَرُّ بسُرعة، وسُرعانَ ما يَصلُ الشَّابُّ إلى مرحلة مُنتصَف العُمر، ويُصبحُ الكهولُ في مرحلة تالية شُيوخًا، لذلك وَفقًا لآيات القرآن، يَنبغي عليهم أن يُحسنُوا إلى والديهم المُسنِّينَ، وأن يُراعُوا حقوقَ آبائهم وأمَّهاتهم حتى لو بَلغوا من العُمر عِتيًّا، فهم أيضًا لدَيهم أبناءٌ وسيَكبرونَ، وسيَنبغي على أبنائهم الإحسانُ واحترامُ حقوقهم. فيَنبغي حمايةُ هذه السُّنة الإسلاميّة المُقدَّسة في كيان الأسرة، ونقلُها من جيل إلى جيل، حتّى يتعلَّمَ الأطفالُ والمُراهقونَ احترامَ الوالدَين منهُم، ويُطبِّقوا ذلك غدًا في شَيخوختهم.[1] قال الإمامُ عليٌّ: «وَقِّرُوا كِبارَكُمْ يُوَقِّرْكُمْ صِغارُكُمْ؛ احتَرِمُوا كبارَكُم ليَحترِمَكُم الصِّغارُ»[2]. كما قال الإمامُ الصّادقُ: «بَرُّوا آباءَكُمْ يَبَرَّكُمْ أَبْناؤُكُمْ؛ أحسِنُوا إلى آبائِكُم لِيُحسِنَ إليكُم أبناؤُكُم»[3].

١ - راجع: محمد تقي فلسفي، بزرگسالان و جوانان از نظر افكار و تمايلات [الكبار والشباب من حيث الأفكار والميول]، مج ١، ص ٦٠.

٢ - محمد بن علي الصدوق: الأمالي، ص٩٤.

٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، مج٥، ص ٥٥٥٤.

يمُكنُ القولُ إنَّ أحدَ مَصاديقِ الإحسانِ هو احترامُ المُسنِّينَ. كان الإمامُ الخُمينيُّ قُدِّسَ سِرُّهُ يُولي أهمِّيةً كبيرةً لهذه المَسألة؛ كما يُروى أنَّه في يومٍ من الأيّام، وصلْنا إلى مَحضرِ الإمامِ الخُمينيِّ قُدِّسَ سِرُّهُ في جماران، وكان أحدُ المَسؤولينَ في الدَّولةِ قد جاءَ لخدمةِ الإمامِ، وكانَ والدُهُ المُسنُّ برفقتِه. وعندَما أرادَ أن يَحضُرَ أمامَ الإمامِ، تقدَّمَ أمامَ والدِه. وبعدَ أن تشرَّفَ بالخدمة، قدَّمَ والدَهُ للإمامِ. نظرَ الإمامُ إلى ذلكَ المَسؤولِ وقالَ: «هذا السيِّدُ والدُكَ؟». فأجابَ ذلكَ الشَّخصُ: «نعمْ». فقالَ الإمامُ: «فلماذا تقدَّمتَ أمامَه ودخلتَ؟».[1]

زيارة المُسنِّينَ والسُّؤالُ عن أحوالِهم

يُحِبُّ المُسنُّونَ أن يكونوا بجانبِ باقي أفرادِ الأُسرة، وأن يتمتَّعوا بمَحبّتِهم، لكنْ ثمّةَ أسبابٌ تَدعو لزيارةِ دُورِ المُسنِّينَ؛ لأنَّ المُسنِّينَ في مثلِ هذه الظُّروفِ يَشعرونَ بالوحدةِ أكثرَ من أيِّ وقتٍ مَضى، ويَحتاجونَ إلى الحبِّ والاهتمام. يَقول أحدُهُم: رأيتُ يومًا على التِّلفازِ أحدَ هؤلاءِ المُسنِّينَ الذين يَعيشونَ في دار المُسنِّينَ يَقول: «ابنتي، ابني، إذا لم تَرغبا في زيارتي، فأخبروني فقطْ عن صِحّتِكُم». هذه الحالةُ مُؤسِفةٌ جِدًّا، رغم أنَّها لا تَشمل الجميعَ[2].

لقد ذُكر في القرآنِ عن الوالدَينِ: ﴿**ولا تَنْهَرْهُما**﴾. وقد فسَّرَ المُفسِّرونَ هذه العبارةَ بأسلوبَينِ. بعضُهم عدَّها بمَعنى عدمِ الشَّتمِ أو عدمِ رفعِ الصَّوتِ أو الصُّراخِ. على حين عدَّها آخَرونَ بمَعنى عدمِ إبعادِ الوالدَينِ. هذا المَعنى موجودٌ أيضًا في اللُّغة؛ لذا فإنَّ عبارةَ ﴿**ولا تَنْهَرْهُما**﴾ [الإسراء: ٢٤]، في الآيةِ الكريمةِ تَعني لا تَبتعِدْ عن والدَيكَ ولا تُبعِدْهُما.

كما تُوصي هذه الآيةُ وآياتٌ أُخرى الأبناءَ بعدمِ التَّقصيرِ في رعايةِ الوالدَينِ حينَ كِبَرِهم، أو إلقاءِ هذه المَسؤوليّةِ على عاتقِ الآخَرينَ، أو الرَّغبةِ في إخراجِهم من حياتِهم؛ لأنَّ وجودَ الوالدَينِ في حياةِ الأبناءِ بَركةٌ. على الرَّغمِ من أنَّ إيداعَ الوالدَينِ في دار المُسنِّينَ هو عملٌ غيرُ مَقبولٍ وغيرُ عادلٍ، إلا أنَّه لو كانَ ثمّةَ أسبابٌ تَدعو لذلكَ، فيَنبغي زِيارتُهُم.

---

١ - الموقع الإعلامي للحوزة: الإمام الخميني واحترام الأب، تاريخ: ٢٠١٨/٢/٢٣، رمز الخبر: ٥١١٤٨.

٢ - صحيفة همشهري آنلاين: «حكاية تكريم المسنين» بتاريخ: ٢٠١٤/٥/٦، رمز الخبر: ٢٥٨٥٩٢.

تقدير المُسنِّينَ

إحدى طُرق تكريم المُسنِّينَ هي تَقديرُهُم؛ لأنَّهم مارَسوا الدَّورَ الأهمَّ في تربيةِ الأبناءِ وتَنامي المُجتمع. الشُّكرُ يَجعَلُ المُسنِّينَ يَشعرونَ بأنَّهم لَيسوا عِبئًا على المجتمع، وأنَّ النّاسَ يُقدِّرونَهم. شُكرُ الوالدَينِ هو عملٌ تأسيسيٌّ للأجيالِ القادمة لتَكريمِ المُسنِّينَ؛ لذلكَ، يَذكر القرآنُ في سورة لقمان مُباشرةً بعد التَّذكيرِ بجُهودِ الأمِّ[1] بأَهميّةِ الشُّكرِ، وهذا يدلُّ على المَكانةِ الخاصّةِ بالوالدَينِ: ﴿**أَنِ اشكُرْ لى ولِوالدَيكَ**﴾ [لقمان: ١٤]. فعَلَينا أن نَشكُرَ اللهَ، وكذلك عَلَينا أن نَشكُرَ الوالدَينِ.

لقد كان دخولُنا إلى الحياة الدُّنيا بواسطتهم. لقد كانُوا وسيلةً لفَيضِ الله عَلينا، واللهُ سبحانَه وتعالى يُولي احترامًا كبيرًا لمَن يكونُ وسيلةً للفَيضِ. شكرُ الوالدَينِ يَعني الإحسانَ إليهما؛ كما جاء في الآيةِ التي تأمرُ بالإحسانِ إليهما: ﴿**وبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا**﴾[لقمان: ١٤]. شكرُ اللهِ تعالى هو عبادةُ الله، والشُّكرُ لخدماتِ الوالدَينِ ومكانتهما هو إحسانٌ إليهما. وفي الرِّواية، جاءَ رجلٌ مَشغولٌ بالطَّوافِ حولَ بيتِ الله، وكانَ يَحملُ والدتَهُ على كتفَيه ويَطوفُ، وفي تلكَ الأثناءِ رأى النبيَّ وسألَه: «هل أدَّيتُ حقَّ والدتي بهذا العَملِ؟» فقالَ النبيُّ: «لا، لم تَجْزِ حتّى واحدةً من أنينِها عندَ وَضعِها لكَ».[2]

معرفة آثار وجود المُسنِّينَ وبركاتهم

إحدى طرقِ تكريمِ المُسنِّينَ بيانُ آثارِ وجودِهم في الأسرةِ والمُجتمع وبَركاتِهم؛ لأنَّ ذلكَ يُعَدُّ من عواملِ التأثيرِ التَّحفيزيّة، كما تُستخدَمُ اليومَ عواملُ تَحفيزيّةٌ وتَشجيعيّةٌ، مثل تقديمِ قروضِ الإسكانِ لزيادةِ عددِ السُّكان. فإذا جَرى تفعيلُ عواملِ التَّشجيعِ بشأنِ تكريمِ المُسنِّينَ اليومَ، فمِنَ المؤكَّدِ أنَّ الشَّبابَ والبالغينَ سيَهتمُّونَ أكثرَ بتَكريمِ المُسنِّينَ.

في التَّعاليمِ الدِّينيّةِ، يُشار إلى آثارِ الخِدمةِ للمُسنِّينَ في الدُّنيا والآخرة؛ كما قال النبيُّ: «مَنْ سَرَّهُ

١ - ﴿**ووصَّيْنا الْإِنسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهْنًا عَلَىٰ وهْنٍ وفِصالُهُ فى عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لى ولِوالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصيرُ**﴾ [لقمان:١٤].
٢ - ناصر مكارم شيرازي: تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، مج١٢، ص٧٩ .

أَنْ يُمَدَّ لَهُ في عُمُرِه ويُبْسَطَ في رِزْقِه فَلْيَصِلْ أَبَوَيْهِ».[1] وفي روايةٍ عن ابن عباسٍ عن رسول الله جاءَ: «كلُّ ابنٍ بارٍّ يَنظُرُ إلى والدَيه برَحمةٍ، يُعطَى ثوابَ حجٍّ كاملٍ مَقبولٍ عن كلِّ نظرةٍ». سُئل: «حتّى لو نظرَ إليهما مئةَ مرّةٍ في اليَوم؟» فقال: «نعمْ، اللهُ أكبرُ وأطهَرُ».[2] كما قال الإمامُ الصّادقُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُخَفِّفَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ... فَلْيَكُنْ بِوالِدَيْهِ بارًّا».[3] وربمَّا لهذا السَّببِ كانَ أولياءُ اللهِ يتمنَّونَ لو استطاعوا خدمةَ والديهم.

وجاء في رواية أنَّه عندَما كان مُوسى يتضرَّعُ إلى ربِّه، رأى رَجُلًا يتضرَّعُ. فغبطَهُ مُوسى على مقامه ودرجته، وقالَ: "يا ربِّ، بأيِّ وَسيلةٍ رفعتَ عبدَكَ إلى هذا المَقام؟" فجاءَ نداء: "يا مُوسى، إنَّ هذا الرَّجلَ كان يَبَرُّ والدَيه."[4] يقول الشَّهيدُ مطهري: "أحيانًا عندَما أُفكِّرُ في أسرار وُجودي وأعمالي، أشعرُ أنَّ أحدَ الأمورِ التي جَلبَت الخَيرَ والبَركةَ في حياتي، والتي دائمًا ما كانَت تَشملُني برحمةِ اللهِ ولُطفه، هو الاحترامُ والإحسانُ الكبيرُ الذي قدَّمتُه لوالديَّ، خاصّةً في فترة شَيخوختهم وحينَ مَرضِهم." يقولُ أحدُ أبناء الشَّهيدِ مطهري: «لقد كنتُ أشهدُ مِرارًا تواضُعَ واحترامَ والدي ومُعلِّمي العَزيزِ تُجاهَ جَدِّي. كلَّما ذهبْنا إلى فريمان، كان والدي يُؤكِّدُ على أن نَذهبَ أوَّلًا إلى منزلِ والدَيه. وعندَ مُواجهتِهما، كان يُقبِّلُ يَديهما، وكان يُوصينا أيضًا أن نُقبِّلَهُما»[5].

ترسيخ العادات الاجتماعية

أنشأتِ الأُممُ المتَّحدةُ في عام ١٩٨٢ المجلسَ العالميَّ للشَّيخوخة، وفي العام نفسه قُدِّمَت خطّةٌ لتَحديدِ يومٍ عالميٍّ لكبارِ السِّنِّ، حتى حدَّدَ هذا المجلسُ الأوَّلَ من أكتوبر يَومًا عالميًّا لكبار السِّنِّ في عام ١٩٩٠. كما أعلنَتِ الجمهوريةُ الإسلاميّةُ يومَ التاسعِ من الشَّهرِ السّابعِ من التَّقويمِ

١ - محمد بن باقر المجلسي: بحار الأنوار، مج٧١، ص٨٥.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مج٧٤، ص٧٣.
٣ - محمد بن علي الصدوق: الأمالي، ص٣٨٩.
٤ . محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مج٧١، ص٨٧.
٥ - موقع راسخون الثقافي: «آية الله مطهري والاحترام للوالدين»، بتاريخ: ٢٠١١/١١/٢٣، رمز الموضوع: ٢٠٢٧٧٨.

الهجريِّ الشَّمسيِّ يَومًا عالميًّا ووَطنيًّا لكبار السِّنِّ. واتَّخذَتْ بعضَ الإجراءاتِ في هذا اليوم، لكنَّ الحقيقةَ هي أنَّ هذا الأمرَ غيرُ كافٍ. لذلك، فإنَّ إحدى طُرقِ تكريمِ كبارِ السِّنِّ هي تَعزيزُ إحياءِ ثقافةِ العاداتِ الوطنيّةِ والدِّينيّةِ في المُجتمع، حتى يتعرَّفَ الشَّبابُ أكثرَ على هذهِ البَرامجِ.

وفي المُقابلِ أُلغِيَ، في بعضِ الدُّولِ مثلِ اليابان، يومُ كبارِ السِّنِّ الوَطنيُّ، وأحَلُّوا محلَّهُ نشاطاتٍ يُعبِّرُ اليابانيُّونَ فيها عن احترامِهم ووُدِّهم واهتمامِهم بالأشخاصِ المُسنِّينَ في الأسرةِ والمُجتمعِ، ويُدعى كبارُ السِّنِّ للمُشاركةِ في مختلفِ المُناسباتِ في هذا البلدِ، ويُكرَّمونَ من خلالِ تقديمِ الهَدايا لهم، وتُقامُ برامجُ ثقافيّةٌ ومُسابقاتٌ رياضيّةٌ تُركِّزُ على الشَّيخوخةِ على مُستوى المُجتمعِ لهذهِ الفئةِ من النّاسِ.

في بعضِ المدارسِ الابتدائيّةِ، يَرسُمُ الطُّلابُ للأجدادِ والجَدّاتِ لوحاتٍ، أو يُعدُّونَ الحِرَفَ اليَدويّةَ ويُهدونَها لهم وللمُسنِّينَ الآخَرينَ الذينَ يَعيشونَ في دُورِ رِعايةِ المُسنِّينَ.[1] بناءً على ذلك، فإنَّ إحدى طُرقِ تكريمِ المُسنِّينَ هي إحياءُ ثقافةِ التَّقاليدِ الاجتماعيّةِ من خلالِ تَنظيمِ النَّدَواتِ وإنتاجِ المُسلسلاتِ والأفلامِ وإقامةِ الاحتفالاتِ و... للمُسنِّينَ، حتَّى تترسَّخَ فكرةُ إحياءِ التَّقاليدِ الإلهيّةِ والاجتماعيّةِ في المُجتمع، وتقديمِها كقيمةٍ اجتماعيّةٍ، كما يأمُرُ الإمامُ عليٌّ بالحِفاظِ على القِيَمِ والتَّقاليدِ الإلهيّةِ والاجتماعيّةِ: «... أَمَرَهُ بِتَقْوى الله، وإيثارِ طاعَتِهِ، واتِّباعِ ما أمرَ به في كِتابِهِ، مِن فَرائِضِهِ وسُنَنِه...»[2]

الدُّعاء للمُسنِّينَ

على الرَّغمِ ممّا يُتصوَّرُ بأنَّ على الآباءِ الدُّعاءَ لأبنائِهم ليَحظَوا بحياةٍ ناجحةٍ ونهايةٍ طيِّبةٍ، إلا أنَّه يُؤكَّدُ في النُّصوصِ الدِّينيّةِ على وجوبِ دُعاءِ الأبناءِ للآباءِ؛ لأنَّ الآياتِ والرِّواياتِ قد أوصَتْ بأنْ يَدعُوَ الإنسانُ للآخَرينَ قبلَ أن يَدعُوَ لنَفسِه. ودونَ شكٍّ، فإنَّ أحدَ مَصاديقِ الآخَرينَ الآباءُ،

1 - https://www.irna.ir/news/8166234

٢ - الإمام علي عليه السلام: نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

فالإنسانُ في كِبَرِه يَحتاجُ أكثرَ إلى الدُّعاء؛ لذا جاءَ في القرآن: ﴿**وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانى صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٤]. وقد دَعا الإمامُ السَّجّادُ في هذا الشّأنِ قائلاً: «واحْفَظْ لَهُما ما حَفِظاهُ مِنِّي في صِغَري، فهُما أَوْجَبُ حَقًّا عَلَيَّ».[1]

١ - الإمام زين العابدين، الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أحمد بن محمد فتال نيشابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتَّعظين، الطبعة الأولى، قم: دار رضي للنشر، ١٩٩٦م.
- الإمام زين العابدين علي بن الحسين، صحيفه سجاديه [الصحيفة السجادية]، طهران، مؤسسة فيض الإسلام للنشر، ١٩٨٩م.
- حسن بن علي الحراني، تحف العقول، طهران: دار الكتب الإسلامية، (لاتا).
- حسين البروجردي، جامع احاديث شيعه [جامع أحاديث الشيعة]، الطبعة الأولى، طهران: دار الثقافة الخضراء للنشر، ٢٠٠٧م.
- حسين بن محمد تقي النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة آل البيت، ١٤٠٨ق.
- غلام علي رجائي، برداشتهايى از سيره امام خمينى [مقتطفات من سيرة الإمام الخميني]، طهران مؤسسة تنظيم مؤلفات الإمام الخميني ونشرها، ٢٠١٣م.
- محمد أمين صادقي ارزجاني، باغچارنامه قم: طباعة قُقنوس، (لاتا).
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، طهران: دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٩م.
- محمد بن الحسن الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، الطبعة الأولى، قم: مؤسسة آل البيت، ١٢٠٩ق.

- محمد بن علي الصدوق، الأمالى، الطبعة السادسة، طهران كتابجى، ١٩٩٧م.
- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، الطبعة الأولى، قم: دار الحديث، ١٤٢٩ق.
- محمد تقي فلسفي، بزرگسال و جوان از نظر افكار و تمايلات [الكهل والشاب من منظور الأفكار والميول]، الطبعة العاشرة، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ٢٠١٧م.
- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، قم: جامعة المدرسين، ١٣٨٨ق.
- ناصر مكارم شيرازي، تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، الطبعة العاشرة، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٩٩٢م.

المواقع الإلكترونية

- صحيفة همشهري آنلاين: «حكاية تكريم المسنين»، ٢٠١٤/٥/٦، رمز الخبر: ٢٥٨٥٩٢
- الموقع الإعلامي للحوزة: «الإمام الخميني واحترام الأب».٢٠١٨/٢/٢٣، رمز الخبر: ٥١١٤٨.
- موقع راسخون الثقافي: «آية الله مطهري والاحترام للوالدين»، ٢٠١١/١١/٢٣، رمز الموضوع: ٢٠٢٧٧٨.